دور الشباب
في البلدان المتخلفة

عند ما اقترحت علي ، الجمعية المغربية لتربية الشبيبة(1) ان يكون موضوع حديثنا اليوم هو : «دور الشباب فى البلاد المتخلفة» تساءلت : لماذا بالضبط دور الشباب فى البلاد المتخلفة ؟ ولماذا نطرح باستمرار هذا الموضوع فى بلدنا وفى البلدان التى تعيش وضعية مثل وضعيتنا ؟ لماذا لا نسمع ، او لا نكاد نسمع ، عن مثل هذا الموضوع فى البلاد المتقدمة، البلاد الصناعية ؟ هل لكون الشباب فى البلاد المتقدمة لا يطرح اية مشكلة ؟ ام انه لا ينتظر منه ان يقوم باى عمل محدد ؟ ام لان المشاكل المطروحة فى البلدان المتقدمة لا تهم الشباب هناك ، بقدر ما تهم القضايا المعروضة فى البلاد المتخلفة شباب هذه البلدان ؟ (2)

الواقع ان اثارة مشكلة الشباب فى اى بلد من البلدان ، تعني فى الاساس طرح مشكلة المستقبل ، وآفاقه ، ومضامينه . فشباب اليوم هم رجال الغد ، ما فى ذلك شك ، وما يزرع الآن سيحصده غدا شباب اليوم ، ولذلك فان قضايا الشباب ومشاكله هى من القضايا والمشاكل المطروحة باستمرار لانها ، باختصار قضايا ومشكل المستقبل . والانسان يتميز عن الحيوان ، ليس فقط لكونه يعيش حاضره مدفوعا بالماضي ، بل ايضا لانه يعيش مستقبله مدفوعا بالحاضر ،

---

(1) محاضرة القيت بدعوة من الجمعية المغربية لتربية الشبيبة بالدار البيضاء فى دجنبر 1967 . ونشرت فى مجلة « اقلام » العدد السادس 1968 .
(2) القيت هذه المحاضرة قبل نشوب الثورة الطلابية فى كثير من عواصم أوروبا فى ماي ويونيه 1968 .

فمستقبل الانسان حاضر امامه ، بقدر ما يتراكم ماضيه وراءه . وكلما كان الانسجام ، بين وقائع الماضى ومعطيات الحاضر وآفاق المستقبل ، قائما ، كانت المشاكل التى يطرحها المستقبل اقل حدة واخف وطاة . اما عند ما يكون هناك تنافر وعدم اتزان بين الاطراف الثلاثة ، اى عند ما تكون معطيات الحاضر نتائج غير طبيعية لوقائع الماضى ، وعند ما تكون غير صالحة لان ترسى عليها اسس المستقبل ، فان مشاكل الغد تطرح نفسها بقوة وعنف .

والبلاد المتقدمة تعيش اليوم حاضرها باعتباره نتيجه طبيعية لماضيها ، ومقدمة طبيعية وملائمة كذلك للغد الذى تنتظره وتخطط له. ولهذا كانت مشكلة المستقبل بالنسبة لها ، وبالتالى مشكلة الشباب من المشاكل العادية التى يتم بحثها واعداد الحلول لها ، فى اطمئنان ، وهدوء اعصاب . اما بالنسبة للبلاد المتخلفة فان الامر يختلف كثيرا . ذلك لان شعوب هذه البلدان تعيش حاضرها فى قلق وتوتر ، لانها مفصولة عن ماضيها ، ومقطوعة الاتصال بالمستقبل الذى تنشده وتطمح اليه . وهى فى بحثها عن المستقبل ، وعن الماضى ايضا ، ترفض حاضرها هذا المتوتر المزعزع ، ولا تعترف به لانها ترى فيه وضعية غير ملائمة تماما. ومن هنا يمكن القول ان البلاد المتخلفة تعيش فى حاضرها مستقبلها ، تعيشه بأحلامها وخيالاتها ، بل بأعصابها وانفعالاتها .

ان المستقبل بالنسبة للبلاد المتقدمة ، البلاد الصناعية ، غير مطروح بمثل هذه الحدة ، وهذا التوتر ، لانها صنعته ، او هى تصنعه، انها تعرف اين هى الآن ، وتعرف ماذا ستكون غدا . اما البلاد المتخلفة فحاضرها مرفوض لانها لم تصنعه بارادتها ، ومستقبلها مجهول لان آفاقه ، اذا نظر اليها انطلاقا من معطيات الحاضر ، لا تقدم الا ظلاما حالكا ، وسوادا قاتما . ان الشباب فى البلاد المتقدمة اشبه ما يكون براكب سيارة، يجرى بسرعة فائقة ، وعلى طريق ممهدة نحو هدفه، هذا الهدف الذى خطط له ، والذى يعرف انه سيصله فى وقت معين مضبوط . اما فى البلاد المتخلفة فما اشبه الشباب فيها بالمسافر على جمل ، فى صحراء رملية قاحلة ، ووسط زوابع هوجاء ، هو لا يعرف فيها الجنوب من الشمال ، ولا الغرب من الشرق ، هو تائه بين كثبان من الرمل عاتية ، يتهدده فى كل لحظة الموت والضياع .

الوضعية اذن مختلفة فى البلاد المتقدمة عنها فى البلاد المتخلفة اختلافا كبيرا ، وكبيرا جدا . ولذلك فان طرح المشكلة ، مشكلة المستقبل، او مشكلة الشباب ، يختلف اختلافا نوعيا. الشباب فى البلاد المتقدمة ينتظر ان يعيش فى عام 2000 المجتمع الجديد كل الجدة فى تاريخ البشرية، والذى اطلق عليه منذ الآن «مجتمع ما بعد المجتمع الصناعى»، مجتمع الراحة والرفاهية، والسعادة الكاملة، ان كان للسعادة كمال. اما بالنسبة للشباب فى البلاد المتخلفة اليوم ، فان المستقبل لا ينكشف الا عن ظلام واشباح مخيفة، اذا ما سارت الامور على ما هى عليه الآن . ولذلك كان لا مناص له من رفض الحاضر، والعمل على تغييره ، حتى يتمكن من توجيه المستقبل وجهة اخرى ، اقل خطرا واخف وطأة . وعملية التغيير هذه ، سواء بالنسبة للحاضر او للمستقبل ، مهمة صعبة بلا فى ذلك شك ، ولكن قد يكون مما يخفف من صعوبتها انها مهمة الشباب بالذات . الشباب الذى عرف عنه التاريخ فى كل احقابه واطواره ، انه القوة الحية الدائمة ، والاداة الحادة الصامدة . وهذا هو السر فى ان بعض البلدان المتخلفة بدأت تعيش آمالا تزداد انتعاشا لان الشباب فيها تحرك او بدأ يتحرك ، فى حين ما زالت بلدان مماثلة اخرى سجينة التوتر والخوف لان الشباب فيها لم يحصل لديه بعد وعى كامل بالمهمات الملقاة على عاتقه ، ولا بالدور التاريخى العظيم الذى قدر له ان يقوم به والذى لا مناص له منه ، طال الزمن او قصر . ولهذا ، فقد يكون من المفيد حقا ان نتفحص بعض جوانب هذا الدور الخطير ، دورنا نحن الشباب فى هذه البلاد التى ما زالت الى الآن مع الاسف الشديد تشكل جزءا لا يتجزء من البلاد المتخلفة . فلنعد اذن ، الى السؤال الذى يطرحه عنوان هذه المحاضرة : ما هو بالضبط دور الشباب فى البلاد المتخلفة ؟

لاشك ان التحليل العلمى لمثل هذه المسألة ، يتطلب الانطلاق من المعطيات الموضوعية للواقع الذى يفرضها او يثيرها . لان اى دور مهما كان نوعه لابد من النظر اليه من خلال الشروط التى تحدده وتعينه ، والا كان الحديث عنه حديثا طوباويا وهميا ، ومثل هذا الحديث — حديث الوعظ والارشاد — لم يعد يلقى من الشباب الا النفور والجفاء ، لانه مناف لطبيعته ، مضاد لعقليته وطموحه .

ما هي اذن الشروط المحددة للدور الذى يمكن آن يقوم به الشباب فى البلاد المتخلفة ؟ ان الجواب سهل بسيط ، انه بعبارة قصيرة : وضعية التخلف ذاتها . ولكن ما هي هذه الوضعية بالضبط ؟ وما نصيب الشباب فيها ؟ ثم ما وسيلته فى تحسينها او تغييرها ؟

ان المسالة كما تطرحها هذه التساؤلات ذات جانبين متعارضين : فنحن من جهة نفترض ان للشباب نصيبا فى وضعية التخلف ، اى انه ، بمعنى من المعانى ، مسؤول عنها ومتسبب فيها . ومن جهة اخرى نحن نتحدث عنه باعتباره مطالبا بتغييرها والعمل على انهائها . والواقع ان الامر كذلك حقا ، وذلك بحسب الزاوية التى ننظر منها الى الشباب نفسه . فاذا نظرنا الى الشباب فى البلاد المتخلفة من حيث وجوده الكمى والكيفى حاليا ، نجد ان وضعية التخلف ومظاهره ملتحمة بالشباب التحاما لا انفصال له . اما اذا نظرنا الى الشباب من زاوية ما ينبغى ان يكون عليه، وما يجب أن يفعله، فان الامر سيختلف اختلافا كبيرا .

لنبدأ اذن بطرح المشكلة من الزاوية الاولى ، ولننطلق من استعراض ابرز مظاهر التخلف . وسنرى الى اية درجة تلتصق هذه المظاهر بالشباب نفسه .

ان مظاهر التخلف كثيرة ومتنوعة ، متداخلة متشابكة ، انها كل لا يتجزأ ، رغم كثرة اجزائه ، انها ، وحدة فى كثرة ولذلك يجب ان لا نغفل قط هذه الوحدة ، او هذه الكلية عندما نتحدث عن التخلف كمظاهر واجزاء . ولكي لا يفلت زمام الامر من ايدينا ، ولكي لا تحجب عنا الاجزاء صيغة الكل ، يجب ان نتمسك بالمحور الذى يدور حوله التخلف ، هذا المحور الذى وصفه احد الاختصاصيين بانه : **حالة مستمرة من التنافر بين نمو ديموغرافى قوى ، ومصادر اقتصادية ضئيلة.** ان ظاهرة التخلف اذن مرتبطة ارتباطا لا انفصام له مع واقعة كثرة تزايد السكان ، وضآلة تزايد الانتاج . وهذه حقيقة تمس الشباب فى الدرجة الاولى . فالتزايد الديموغرافي ليس له من معنى فى الوقت الحاضر الا كثرة الشباب وتزايد عددهم باستمرار . وضآلة الانتاج تعنى فيما تعنيه ان الشباب ، هذا الكثير العدد ، لا ينتج . ومن ثمة فان التخلف كما قلنا ظاهرة ملتحمة اشد الالتحام بظاهرة كثرة

الشباب اللامنتج . ان الشباب هنا موضوع فى قفص الاتهام ، ولو بشكل ضمني ، بل ان كثيرا من الذين لم يستطيعوا ان يتبينوا بوعن طريق الخروج من التخلف ، يلقون صراحة تبعية التخلف على كاهل الشباب ، ولذلك تراهم ينادون بأن الحلّ الوحيد هو تحديد النسل ، ومعنى تحديد النسل هو بكل وضوح العمل على خفض عدد الشبان غدا . ونحن لا يهمنا هنا مناقشة مدى امكانية تحديد النسل ، ولا جدوى هذا التحديد بالنسبة لحل مشكلة التخلف . ولكن لا بد لنا من للقاء بعض الاضواء على هذه القضية ما دامت تهم الشباب بالذات ، وما دامت تمس وجوده فى الصميم .

تقول مختلف التقارير والاحصائيات الدولية ان الظاهرة البارزة فى البلاد المتخلفة هى كثرة النسل . فالتزايد الديمغرافي فى هذه البلدان يتعدى احيانا نسبة 4 ٪ بل انه يصل فى بعض الاماكن 5 ٪ . هذا فى حين ان هذه النسبة تنحصر فى الغالب ، فى البلاد المتقدمة ما بين 1 ٪ و 2 ٪ . ولكي نتمكن من اخذ صورة مجسمة عن الزيادة الديمغرافية فى البلاد المتخلفة نذكر ان الاحصائيات المبنية على تقارير الامم المتحدة تشير الى ان سكان البلاد المتخلفة عام 1965 كان يبلغ 2.400.000.000 وان هؤلاء السكان سيزدادون ما بين عام 1990 — 1995 بنسبة 146 ٪ فى حين ان سكان البلاد المتقدمة الصناعية لم يكن عددهم عام 1965 يتعدى 600 مليون نسمة وان الزيادة المتوقعة فى الفترة ما بين 1990 — 1995 لن تتعدى 53 ٪ . ولاعطائكم صورة اكثر وضوحا نذكر ان تقديرات دوائر الاحصاء فى المغرب تشير الى أن سكان المغرب اليوم 1967 يبلغون 14 مليون نسمة ولكنهم سيصبحون عام 1985 اى بعد 17 سنة فقط 26.500.000 نسمة . وتشير الاحصائيات ايضا الى ان الاشخاص الذين تتراوح اعمارهم ما بين 15 سنة و 25 سنة ، اى الشبان بالمعنى الدقيق للكلمة ، يبلغون حاليا 2.800.000 نسمة ، فى حين ان هذا العدد سيصبح بعد عشرين سنة فقط 5 ملايين نسمة . وهذا يعني ان عدد الشبان اليوم سيتضاعف بعد أقل من عشرين سنة. وواضح ان مزيدا من الشباب يعني فى ذات الوقت مزيدا من الشغل ، ومزيدا من الخبز ، ومزيدا من التعليم . ولتشخيص هذه الحقيقة ، نشير الى ان الاحصائيات تدل على ان عدد السكان القادرين على العمل فى المغرب حاليا اى اولئك الذين تتراوح اعمارهم بين 15 سنة و 64 سنة ،

يبلغ 7 ملايين شخص . اما الذين يشتغلون منهم فعلا فلا يتجاوز عددهم 4 ملايين نسمة. ونسبة الشباب من هؤلاء لا تتعدى 40 ٪ . وهـذا يعني ان نسبـة العاطلين من الشباب نسبة كبيرة جدا فهي تبلغ اثنين الى ثلاثة . بمعنى انه بين كل ثلاثة عاطلين يوجد شابان.

هذا في الوقت الحاضر . اما بالنسبة للمستقبل القريـب ، اى لعام 1985 فان عدد الذين سيبلغون سن العمل في المغرب سيكـون 13 مليون نسمة . واذا اراد المغرب ان يشغل جميع القادريـن على العمل عام 1985 فعليه ان يحدث 4.700.000 وظيفة شغل علاوة على الوظائف الموجودة حاليا . وهذا يعني انه اذا اردنا ان نضمن الشغل للشباب 1985 يجب ان نحدث نحو 5 ملايين وظيفة شغل (1) .

ليس هذا وحسب ، بل ان هناك مشكلا آخر اعوص واعقد . ذلك لان التشغيل اليوم يتطلب التعليم ، فمن الحقائق المؤكدة في عالـم اليوم ان حظ الشخص في الحصول على عمل يكفيه لضروريات العيـش يتوقف على مدى حظه من الثقافـة . فالسواعد المفتولة لا تكفي وحدها في عالم اليوم ، فلقد حلت الآلـة محلها . ان المطلوب اليوم هـو الفكر «المفتـول» ان صح هذا التعبيـر .

وهنا يتجلى احد المظاهر الخطيـرة في وضعية التخلف ، وهـو مظهر الامية ، ان الشباب في البلاد المتخلفة شباب امـي ، غير متعلم، في الاغلبية الساحقة منه . بل حتى اولئك الذين لا يدخلون في عـداد الاميين فان معظمهم لا يدخل في عداد المثقفين ، او المتعلمين . ولتجسيم انتشار الامية في البلاد المتخلفة نذكـر النسب الآتية على سبيل المثال. في جنوب شـرق آسيا تبلـغ نسبة الامية 70 ٪ وفي الشرق الاوسط 75 ٪ ، في مصر 86 ٪ في العربية السعودية 95 ٪ ، في المغرب 90 ٪ وغني عن البيان القول بأن الغالبية العظمى من الاميين في هذه البلدان تتشكل من الشباب . ففي المغرب مثلا تدل الاحصائيات على ان نسبـة الاميين في الشبان الذين تتراوح اعمارهم بين 20 — 25 سنة تبلغ 88٪ . اما الذين تعـدوا مرحلة الامية بحصولهم على الشهادة الابتدائية فـان نسبتهم لا تتجاوز 0ر8 ٪ . ولكن الثقافة المطلوبة في عالم اليـوم ليست الشهادة الابتدائية . ان عالم الشغل اليوم قلما يفتح ابوابه الا للخريجين

(1) راجع كتاب الاستاذ محمد الحبابي : الشبيبة المغربية في الثمانينات .

الجامعيين . وفى هذا الصدد تشير الاحصائيات الى ان عدد الذيـــن يبلغون حاليا السن الجامعية يتجاوز 1.500.000 شخص . فى حين ان عدد الملتحقين منهم بالجامعة لا يتعدى 7.500 شخص وهذا يعنى ان نسبـــة الجامعيين بين شبابنـــا الحاضر هي فقط 0ر5 ٪ وهـــى نسبـــة جد ضئيلـــة (1) .

غير ان الامر هنا قد يهون اذا اقتصرنا على الحاضـــر فقـــط ، خصوصا وقد اعتدنا أن نلقي مشاكل الحاضر على كاهل الاستعمار . ولكن الفاجعة الحقيقية هى فاجعة المستقبل . وهنا لن ازيد فى تسويد الصورة بين انظاركم ، وانما يكفي ان اشير فقط الى انه اذا اراد المغرب ان يعمم التعليم سنة 1985 فان عليه ان يضاعف عدد الاقسام الموجودة الآن سبع مرات . كما يجب مضاعفة عدد المعلمين والاساتذة سبع مرات ايضا . وهذا يتطلب اكثر من 500 مليار فرنك لتكوين المعلمين وبنـــاء الاقسام كما يتطلب 350 مليارا للتسيير . هذا زيـــادة على ان التشغيل سيتطلـــب كما قلنـــا احـــداث 5 ملاييـــن وظيـــف .

لا اريد ان اثقل اسماعكم هنا بمزيد من الارقام والاحصائيـــات بالرغم من ان لغة الارقام اوضح لغة ، وبيان الاحصاء ادق بيان ، وانما اريد فقط ان اشير الى خطورة المشكلة ، مشكلة الوضعية التى تعيشها البلاد المتخلفة اليوم ، والمشكلة الاكثر خطورة التى ستعرفها غدا اذا سارت فيها الامور على ما هى عليه الآن . ذلك لان الامور كما هى عليه الآن ليس من شانها ان تقدم اى حل . بل انها توقعنا فى دور فـــارغ . فلتشغيل الشباب يجب تعليمه ، ولتعليمه يجب ان تكون هناك امـــوال، ولكي تكون هناك اموال ، يجب ان ينتج الشباب ، ولكي ينتج الشبـــاب يجب ان يشتغل . وهكذا ، نسير فى حلقة مفرغة لا مخرج منها . وهذا ما يوضح ما قلنـــاه سابقا من ان البلدان المتخلفة ترفض حاضرها ، لانه ليس امامهـــا الا ان تفعل ذلك ، والا بقيت تدور فى فـــراغ ، وحتى فى هذه الحالة فان الفـــراغ لابد أن يضيق بها . وهذا أيضا ما يوضـــح ما قلنـــاه من ان مشكلة البلدان المتخلفة هي فى الاساس مشكلة شبابها. لانه كيفما كان الامر، وكيفما كانت الظاهرة التى نتخذها معيارا للتخلـــف فاننا سنصطدم دوما بالشباب . فاذا قلنا ان ظاهـــرة التخلف تنحصر

(1) احصـــائيـــات 1967 .

او تكاد في كثـرة النسل فهذا يعنـي ان التخلف يرتبط بكثـرة الشباب، واذا قلنا ان البـلاد المتخلفة بلاد جائعة ، او مريضة ، أو جاهلـة ، او فيها بطالة، فانما نعني سواء اردنا ام كرهنا ان الشباب هو الجائع، وان الشباب هو المريض ، وان الشباب هو الجاهل ، وان الشباب هو العاطل. وهكذا ترون ان نصيب الشباب في التخلف ، وحظه فيه، نصيب كبير ، وحظ وافـر ، ومسؤوليـة جسيمـة .

ولكن يجب ان لا نغفل او نتغافل عما قلناه سابقا من ان التخلف ظاهرة كلية ، وانها وحدة في كثـرة . ذلك لان ما يميز البلاد المتخلفـة اليوم ليس هو الجوع وحده ، ولا الجهل وحده ، ولا البطالة وحدها، بل هناك عنصر آخر هام جدا ، وهو في نظـري ، وفي نظر كثيرين غيري، العنصر الاساسي ، والايجابي الوحيد ، الذي يحرك كلية التخلف . هذا العنصر الهام ، والذي تزداد اهميته وتقوى فاعليته بالنسبـة للمستقبل ، هو ظهـور **الوعي بالتخلف** في هذه البلدان .

وعلينا ان نعير هذا العنصر اهتماما زائدا ، لان فيه يتجلى الوجه الآخر للقضية ، قضية الشباب . وفيه او من خلاله ، يتضح بجلاء ذلك الدور الايجابـي الهام : دور الشباب في الخروج من التخلف .

ان الجوع والجهل والمرض والبطالة ليست من الامور المستحدثـة في البلاد المتخلفة اليوم ، فلقد عاشت هذه البلدان ، بل لقد عاشـت الانسـانية كلها ، قرونا وقرونا تفشى فيها الجـوع والجهل والمـرض والبطالة ، رغم قلة السكان ، وضآلة عـدد الشباب آنذاك . ومـن ثمة فان الفارق الحقيقي بين وضعية البلدان المتخلفة اليوم ، ووضعيتها بالامس ، ليس فارقا كميا، بل هو في حقيقته وجوهره فارق كيفي.

منذ بضع عشرات من السنين فقط ، كانت تعيش البلدان المسماة اليوم متخلفة، في وضعية سيكولوجية واجتماعية تختلف اختلافا كبيـرا عن الوضعية التي تعيشها اليوم . لقد كان اجدادنا ينظرون الى الجـوع الذي ينهكهم ، والمجاعات التي تسحقهم ، والى الجهل المتفشي فيهـم ، والمرض الذي ينخر عظامهم ، كانوا ينظرون الى ذلك كله كقـدر مقدور، لا سبيـل الى رفعه . كانوا يؤمنـون بأن ذلك هو نصيبهم من الحيـاة، وكان شعار الكثيرين منهم هـو الاستسلام وقبـول محـن الدنيـا ،

والمزوف عن «اوساخها» والعيش باطمئنان كما ارادت الاقدار الى ان يأخذ صاحب الامانة أمانته .

اما اليوم فالامر على النقيض من ذلك تماما . فالشعوب المتخلفة ترفض وضعيتها الحاضرة ، هى لا تعترف لا بالجوع ولا بالجهل ولا بالبطالة كقدر مقدور ، بل كامراض ونقائص يجب اجتثاثها والقضاء المبرم عليها .

منذ فترة وجيزة من الزمان كانت آمال الشباب فى هذه البلدان منحصرة او تكاد ، فى ان يصبحوا مثل آبائهم واجدادهم. كان اكثر ما يتوق اليه الواحد منهم آنذاك هو ان يصبح خرازا مثل ابيه ، او نجارا مثل عمه ، او فقيها فى المسيد مثل جده . اما بالنسبة للفتاة فمن الصعب جدا ان نتحدث عن آمالها فى ذلك الوقت . وكل ما كانت تأمل ، ان استطاعت ان تأمل ، هو ان تحصل على زوج تتعاون وإياه على رعي بضع بقرات او شياه او ما اشبه ذلك.

اما اليوم فقد انقلبت الوضعية سواء فى جانبها السيكولوجى او الاجتماعي ، رأسا على عقب . وهذا الانقلاب التاريخي العظيم يجسمه ما عبرنا عنه بـ «**الوعى بالتخلف**» . وليس هناك ادنى شك فى ان هذا الوعى هو الذى جعل جمعية من جمعيات الشباب تطرح اليوم للمناقشة موضوعا كهذا الذى نحن بصدده الآن . ان اهتمام الشباب بالتخلف ومشاكله اهتمام متزايد حقا ، وهو ان دل على شيء فانما يدل فى الدرجة الاولي على انبثاق الوعى بين صفوفهم ، انبثاقا جعلهم يدركون من الآن حقيقة وضعيتهم ، وحقيقة ما عليهم ان يفعلوا.

على ان الوعى بالتخلف ليس مقصورا على الشباب وحده ، بل لقد اخذ يعم مختلف فئات السكان من كهول وشيوخ ، من فتيات وعجائز . والحضارة المعاصرة تساعد على ذلك بآلياتها وتقنياتها .

لقد اصبحت اجزاء العالم اليوم قريبة من بعضها بعضا . واصبح التواصل والتأثير والتأثر بين سكان هذا الكوكب ، اسهل واسرع كثيرا . ان بامكان سكان المغرب ان يسمعوا فى الحين ما يقع فى الارض من اقصاها الي اقصاها ، من الصين الى كوبا . لقد تمزقت الحجب ، وتقلصت المسافات ، وأصبح تيار العصر يجرف الجميع

واصبحت روح العصر توقظ الجميع . وهكذا ، فلم يعد من الضرورى اليوم ان يعرف الانسان القراءة والكتابة ليعرف انه متخلف ، فسمعه وبصره يدلانه على ذلك اصدق دلالة. بل ان احساسه بالجوع والفقر، وشعوره بالجهل والفراغ ، يدفعانه دفعا الي الوعي بوضعيته ككل.

ثم ، وهذا هو المهم ، لم يعد الجائع يحس بجوعه وحده كفرد، ولا الجاهل يشعر بجهله وحده ، بل اصبح الشعور بالجوع وبالجهل وبالبطالة شعورا جماعيا ، ومن ثمة اصبح الحل لا يبحث عنه فرد او افراد بل تبحث عنه المجموعة كلها .

وعندما يكون الامر على هذا الشكل اى عند ما تتحول الاهتمامات الفردية ، والمصالح الشخصية الى اهتمامات جماعية ومصالح مشتركة، وبعبارة اخرى عندما ينقلب الوعي الفردى الى وعي جماعى ، عند ما يصبح الاول منهما يستمد قوته وفاعليته من الثانى ، عندئذ يلزم القول ان تحولا تاريخيا هو علي قاب قوسين او ادنى . والتحول الذى من هذا النوع حتمي وضرورى لان الشروط التاريخية تقتضيه ، فهو سيتم لا محالة ، ولن تقف فى وجهه اية عراقيل مهما عظمت ، ولا اية مثبطات مهما كثرت وتنوعت . ولكن يجب ان نفهم الامور على حقيقتها ، اذ من الخطأ القول بأن الامور ستجرى حتما كما تقتضى الشروط التاريخية ، دون تدخل الانسان ، اللهم الا اذا جعلنا تدخل الانسان هو نفسه جزء من الشروط التاريخية . ذلك لانه ليس يكفى ان يشعر الجاهل بانه جاهل ، او الجائع بأنه جائع ، او المريض بأنه مريض ، فقد يبقى هؤلاء ، علي جهلهم وجوعهم ومرضهم ، وهم شاعرون بذلك ، سنين طوالا . بل لابد من الوعى ، الوعي الدافع الخلاق ، ولا بد من تعميق هذا الوعي . وتعميق الوعى معناه ببساطة العبارة دفعه وتوجيهه ليتحول الي فعل . ذلك لان من اخطر الاخطار على الوعى جموده أو تجميده، لانه فى هذه الحالة سيبقى وعيا سلبيا، سرعان ما ينقلب الي مجرد التأوه، والتشكى، وهما سبيل اليأس.

ان البلدان المتخلفة اليوم هى امام تحول تاريخى ضرورى وحتمى، ولكن ضروريته وحتميته تقتضيان التعجيل به حتى لا يصيبه ابطاء او انحراف. وتلك، لعمرى، هى المهمة الاساسية والحقيقية الملقاة على

الشباب فى البلدان المتخلفة وذلك هو الدور الحقيقى والايجابى الذى يجب ان يقوم به الشباب فى البلد المتخلف .

ان دور الشباب فى البلاد المتخلفة دور طلائعى ، انه بالتأكيد تعميق الوعي بالتخلف ، وجعله وعيا أيجابيا ، وعيا فاعلا قاصدا، وعيا متجها الى الحركة والفعل . ان هذه مهمة شاقة ولا شك. ولكن يجب ان لا ننسى ان الشباب هو القوة الوحيدة المهياة لذلك ، ليس فقط بوفرة عددهم ، بل ايضا بابتداء انتشار التعليم والثقافة فيهم . هناك حقيقة لا يمكن نكرانها ، وهى ان عدد المتعلمين والمثقفين يزداد باستمرار رغم ضآلتهم النسبية ، ولكن مع ذلك فان مما يعطي لهذا الامر مغزى خاصا هو ان هذا الشباب الذى يتعلم اليوم والذى سيتعلم غدا، مهدد بالبطالة .

لقد فتح استقلال الشعوب المتخلفة ابواب الوظيفة امام شبانها المتعلمين فانهالوا عليها افواجا افواجا. ولكن الوظائف قد امتلات اليوم، بل انها تشكو فائضا . وهذا يعني ان اغلبية المتعلمين والمثقفين لن يجدوا وظيفة ، لن يجدوا شغلا ، اذا ما سارت الامور على ما هي عليه الآن .

ان العدد المرتقب من المثقفين العاطلين ، وهو عدد سيزداد ويتضخم ما فى ذلك شك ، هو الشبح المخيف الذى يهدد الاوضاع الحالية فى البلاد المتخلفة. ان امتزاج قوة الشباب بقوة الثقافة كامتزاج النار بالبارود ... ان الانفجار سيقع ما فى ذلك شك . وان التحول التاريخى سيتم طال الزمن او قصر ، ما فى ذلك ريب . ولكن، حتى لا يكون هذا الانفجار عشوائيا ، وحتي لا ينقلب الى كارثة ، وحتي لا تتهكن مختلف العراقل والمثبطات من تأخيره أو تغييره وجهته ، يجب على الشباب ان يتحرك بوعى . وهذه الحركة الواعية ، يجب ان تهدف باستمرار الى نشر الوعى بالتخلف وتعميقه ، وذلك بشرح اسبابه الحقيقية وعوامله الفاعلة ، والتجنيد الكامل لازالتها والقضاء عليها.

انه لمن الامور المشجعة حقا ان يكون الشباب فى البلاد المتخلفة قد بدأ يعي مهمته التاريخية وبدأ يعمل من اجلها . ولكن يجب ان لا نكون متفائلين أكثر من اللازم . يجب ان ننظر الي الامور بعين الموضوعية الكاملة ، والصراحة التامة ، حتى ولو كان ذلك يتطلب

توجيه بعض اللوم الى انفسنا . ان هناك دلائل انحراف خطيرة في وضعية الشباب فى البلاد المتخلفة خاصة، وهذا الانحراف يجسمه فظاعة فرار البعض منا ، بل الكثير منا ، من مواجهة الحقيقة ، حقيقة المهمة التى تحدثنا عنها . ويتجلى هذا الفرار فى اصطناع وضعية واهتمامات هي ابعد ما تكون عن مهمتنا. والشباب عند ما يتصنع هذه الوضعية انما يزيف وضعيته الحقيقية ، ويموه على نفسه ، ويكذب على ضميره. وليس اشأم ولا افظع من أن يكذب الانسان على ضميره.

ونحن هنا لا نحتاج الى الاطالة فى هذه النقطة ، فاهل مكة ادرى بشعابها . ولكن مع ذلك ، لابد من كلمة فى الموضوع حتى تكتمل الصورة التى رسمناها للتخلف ، وحتى نضع اصبعنا على جانب آخر من جوانب الدور الذى يجب أن يقوم به الشباب، بل النقطة التى يجب ان يبدأ منها.

ان مشكلة التخلف ليست فقط مشكلة اسس ديمغرافية — اقتصادية — اجتماعية فقط ، بل هي ايضا مشكلة السطحية المزيفة ، ومشكلة مظاهر غريبة لا تنسجم ولا تعبر قط عن الاسس المادية للمجتمعات المتخلفة. وهذه المظاهر السطحية المزيفة هي بلاشك جزء من الميراث الضخم الذى ورثناه عن الاستعمار ، والذى لا زلنا نقتبس منه يوما بعد يوم، غافلين او متغافلين عن ان هذه المظاهر السطحية ليس فى بنياتنا التحية ما يبررها ، ولا ما يسوغها، ولذلك فهى وضعية مسخ وانحراف.

وهذا المسخ وهذا الانحراف ، يتجليان فى ظاهرة التقليد السطحى للشباب فى البلاد الغربية الصناعية المتقدمة ، التقليد فى التشور وفى تفه الامور. فنحن نتسارع ونتسابق اشد ما يكون السباق الى استيراد المظاهر السطحية الحضارة الغربية . ناسين او متناسين ان تلك المظاهر ليس لدينا ما يشكل الاساس الطبيعي لها. نحن نقلد شباب الغرب فى شطحاته ورقصاته ، فى انماط سلوكه وتصرفاته ، بل فى بردانيته وليبراليته . بل نحن نبالغ فى ذلك الى درجة اننا نجد انفسنا نعيش حقا مظاهر حضارة القرن العشرين ، ولكن فى الوقت الذى نعيش فيه واقعا ماديا وفكريا تفصله عن الواقع المادى والفكرى لهذه الحضارة قرون وقرون. وفى هذا يتجلى التخلف بابشع معانيه، وافظع صوره .

اننا لا نريد من الشباب ان يزهد ويتنسك، فطبيعته تابى ذلك. ولكن نريد منه ان يكون منسجما مع نفسه، مع مسؤولياته ومهماته.

ومما يزيد فى الامر خطورة ان طاهرة المسخ هذه ، متفشية اكثر فى صفوف شبابنا المتعلم . هاته الفئة التي يفترض فيها ان تحتل مكان الطليعة فى مقاومة التخلف . ولا شك انه عندما تكون الطليعة منحرفة ، فان المسيرة ترتبك وتتعثر وتتقهقر الي الوراء .

ان اشكال الانحراف كثيرة ومتنوعة . والكثير منا يعيشها او يشاهدها يوميا فى غدوه ورواحه فى يقظته ومنامه . وكمثال واحد فقط نشير الي ظاهرة خطيرة تشكل احد جوانب هذه الوضعية المزيفة التى يحاول الشباب فى البلاد المتخلفة ان يصطنعها لنفسه ، والتى تجعل منه حقا ، شبابا متخلفا اقسي ما يكون التخلف . ذلك اننا لو قمنا مثلا بعملية احصاء لرصد اهتمامات شبابنا لوجدنا بكل تأكيد ان تسعين فى المائة منها منحصرة فى تتبع ما جرى ويجرى وسيجرى فى ملاعب كرة القدم ، حتي لقد اصبح الاهتمام بمثل هذه الامور هو القسم الاكبر من مشاغل شبابنا . وذلك لعمرى ، أفيون للشباب ، فتاك وخطير . وذلك ، لعمرى ، لبرهان ناطق علي تخلف فكرى فظيع . أن تكون حركات دماغ الانسان مستمدة من حركات الكرة فقط ، فهذا ما يعجز الانسان عن اعطائه اسما آخر غير كلمة التخلف. انه «افيون الشباب» .

ان تخلفنا اذن ليس تخلفا فى الاقتصاد فقط ، ولا تخلفا فى التعليم فقط ، بل هو ايضا تخلف فى التفكير ، وتخلف فى الاهتمامات.

نعم ان الكثير منا قد انزلقوا الي هذه الاهتمامات الفارغة الجوفاء لشغل الفراغ الذى يعانونه ، والذى يعتبرون مسؤولين عنه بالدرجة الاولي ، علي ان الفراغ القاتل احسن الف مرة من الفراغ المملوء بما يديمه ويجعل منه فراغا غير مشعور به .

دور الشباب فى البلاد المتخلفة اذن ، هو اولا وقبل كل شيء محاربة التخلف فى نفسه ، فى فكره وميولاته ، فى سلوكه واهتماماته . انه لمن العبث القول بأن للشباب دورا فى اخراج بلاده من التخلف ، قبل ان يخرج الشباب بفكره واهتماماته من التخلف ، قبل أن يرتفع بنفسه الى مستوى المهمات الحقيقية الملقاة على عاتقه .

لقد اطلت عليكم بعض الشيء فى الحديث عن وضعية انتم تعيشونها،

وتشعرون بها ، وتعانون منها . ولكن الذى يغفر لي ذلك ، هو ما نومن به جميعا ، من ان الحديث عن مثل هذه الوضعية الملتصقة بنا ، حديث يجب ان يتكرر ويعـــاد . اذ الحديث عن التخلف خطوة لا بد منها للوعى به ، مثلما ان الوعي به خطـــوة ضرورية لالتماس طريق الخروج منه، فلنتحمل مسؤولياتنا كاملة ، ولنعلم علم اليقين ، ان سكوتنا عن التخلف اليوم ، انما يعنـــي تـــرك المهمة التي كتب علينا وعلى ابنائنـــا القيام بها ، تـــزداد تعقيـــدا ، وتشتـــد صعوبـــة .

ان المستقبل يداهمنـــا، ونحن مضطرون لمجابهته سواء شئنـــا ام ابينـــا . فعلينا ان ننسجم مع انفسنا، ومع سير التاريخ الـــذى يدفعنا بغيـــر هـــوادة ولا رحمـــة .